

تاريخ القبول: 2019/05/05

تاريخ الإرسال: 2019/04/21

رد الاعتبار للتراث التاريخي لدوره الفعال في القطاع السياحي

-دراسة حالة دار الشيخ الهادي ببسكرة-

(Restoring the historical heritage of its active role in the tourism sector

-case study of Dar al-Sheikh al-Hadi Beskra -)

سوهيلة عجوط

SOUHILA ADJOUT

bettyarcheo@gmail.com

جامعة الجزائر 02

University of Algiers 01

د.نادي مفيدة

NADI MOUFIDA

NADI.MOUFIDA@HOTMAIL.FR

المركز الجامعي بغيليزان

University Center Of Relizane

المخلص:

يعتبر قطاع السياحة من القطاعات المهمة التي تؤدي دورا فعالا في اقتصاديات العديد من الدول على جميع الأصعدة محليا، اقليميا و دوليا كصناعة قائمة بذاتها، خاصة منها ما يسمى بالسياحة الثقافية.

تزخر الجزائر بتنوع و غنى في التراث الثقافي المادي و اللامادي، لكن للأسف فان الإمكانيات السياحية المتوفرة لم تحقق الكفاءة المنتظرة لهذا القطاع. و كنموذج لهذه الدراسة وقع اختيارنا على معلم تاريخي المسمى بدار الشيخ الهادي ببسكرة، الذي رغم أهميته التي تحدد الهوية و الانتماء التاريخي للمجتمع الجزائري إلا أنه عرف إهمال من طرف السلطات المعنية.

الكلمات المفتاحية: السياحة، عين النافقة، دار الشيخ الهادي، التجربة الميدانية

Abstract

The Tourism sector is considered as a very important sector who play an effective role in the economies of a lot of countries in the local, regional and international field, is considered also an industry especially in one who called the cultural tourism.

Algeria has a great diversity and richness in the material and immaterial heritage but unfortunately the touristic possibilities can't achieve the real objectives in this sector as an example for this study

we choose the historical monument called DAR EL SHIKH EL HADI at Biskra who considered as an importance for our identity but it suffering of the ignorance of the authorities conserved.

Key words: tourism, Ain Naga, Dar El Shikh El Hadi, the experienc

مقدمة:

تعد السياحة بكل أشكالها و أنماطها أحد الأنشطة الاقتصادية التي تتمتع بأهمية كبيرة في حوض البحر المتوسط، تقوم عليها اقتصاد العديد من الدول كصناعة قائمة بذاتها. و الجزائر لها إمكانات سياحية لكن غير مستغلة، و لم تأت بعوائد بحجم تنوعها و ثرائها و هذا بسبب غياب الاهتمام بهذا القطاع الحيوي سابقا.

ان أهم أنماط السياحة ما يسمى بالسياحة الثقافية ذلك لما تمتلكه الجزائر من إمكانات كونها تزخر بتنوع و غنى في التراث الثقافي المادي و اللامادي (الصناعات التقليدية، العمارة و المواقع الأثرية، الطبخ التقليدي، الموسيقى و الغناء). و هذا ما له علاقة بالتنمية المستدامة من الجانب الاجتماعي، الثقافي و الاقتصادي. و يعتبر العامل الاساسي في استقطاب عدد كبير من السواح سواء من خارج (الأجانب) او داخل الوطن. ونظرا لاهمية القطاع السياحي و باعتبار ان التراث التاريخي يساهم في القطاع وعلى هذا الاساس قمنا بصياغة الاشكالية التالية:

كيف يمكن رد الاعتبار للتراث التاريخي من اجل تشجيع القطاع السياحي؟

أولا: مفاهيم عامة حول السياحة:

1- نشأة وتطور السياحة:

مما لا شك فيه أن ظاهرة السياحة عرفت منذ العصور القديمة، وكانت بسيطة وبدائية في مظهرها وأسبابها وأهدافها، حيث كان هدف الأفراد والجماعات من التنقل هو البحث عن الأمان، الماء والطعام والمأوى.

و مع تطور حياة الإنسان وتطورت معها السياحة وأصبحت اليوم ظاهرة اقتصادية واجتماعية ذات أبعاد كثيرة ومهمة، ويمكن تمييز أربعة مراحل مرت بها السياحة وهي¹: مرحلة الحضارات القديمة، مرحلة العصور الوسطى؛ المرحلة الحديثة و المرحلة المعاصرة.

2- مفهوم السياحة:

لقد تعددت مفاهيم السياحة وذلك نظرا لتطور مفهومها من فترة لأخرى، واختلاف وجهة النظر إليها بين الباحثين والهيئات والمنظمات الدولية، هناك من يعتبرها ظاهرة اجتماعية، ومنهم من يرى أنها ظاهرة اقتصادية.

كما تعتبر مجموعة من العلاقات المتبادلة التي تنشأ بين الشخص الذي يتواجد بصفة مؤقتة في مكان ما، وبين الأشخاص الذين يقيمون في هذا المكان، ذلك لأسباب العمل أو المهنة²

السياحة في اللغة: الجريان، ، وتعني التجوال، ساح في الارض يعني ذهب وسار على وجه الأرض³.

أما في اللغة الانجليزية نجد أن "TOUR" يعني يجول أو يدور أما كلمة "TOURISM" تعني السياحة فمعناها الانتقال والدوران⁴.

تمتلك ولاية بسكرة مجموعة من المؤهلات الثقافية التي تجعلها تقوم بهذا النوع من السياحة من خلال المناطق الاثرية و المعالم التاريخية التي تعود الى مختلف الفترات و الحقب التاريخية التي مرت بها الولاية من ما قبل التاريخ حتى الفترة الاستعمارية.

و بهذا فان احياء التراث العمراني و اعادة تأهيله يشكل مطلبا ملحا للأمم التي قررت المشاركة الفعالة في العطاء الانساني على الصعيد الثقافي و التاريخي. و لا بد للمهتم أن يقوم بحماية و ترميم التراث المعماري و تطويره مع تحقيق الحفاظ على القيمة التاريخية و الثقافية للمباني التراثية⁵.

و لحماية التراث عامة ساهمت الدولة على المحافظة عليه ذلك بانضمامها الى منظمة اليونسكو ، لذا قامت باصدار قوانين و تشريعات في حماية التراث المعماري المادي و اللامادي.

تعتبر وزارة الثقافة المكلفة نيابة عن الوزارة الوصية بحماية و تسيير و المحافظة على المعالم الأثرية.

كما منح القانون الجزائري 04/98 من خلال المادة 91 الحق للجمعيات بأن تسعى لحماية و رعاية التراث الثقافي و المعماري . و في هذا الصدد وقع اختيارنا على دار

الشيخ الهادي التي كانت مقرا للمجاهدين لمقاومة الاستعمار الفرنسي، أين قام صاحب الدار بالتعاون مع جمعية تراث الاجيال بعين الناقة و مديرية الثقافة لولاية بسكرة و كذا بمبادرة تطوعية مع مخبر علم الآثار و التراث و علوم القياس بجامعة الجزائر 2 بحملة تحسيسية لاعادة تهيئة هذه الدار. و تعتبر المحور الرئيسي لتفعيل التراث الثقافي، و يتجلى دورها في الخدمات المقدمة التي ساهمت في التعريف و تطوير هذا الموروث و جعله معلما سياحيا و كيفية استغلال اثاره في تحقيق التنمية السياحية المستدامة. تعتبر صناعة السياحة من أهم الأنشطة الاقتصادية التي يمكن أن تلعب دورا مميزا في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في العديد من الدول التي تمتلك المقومات السياحية الطبيعية أو البشرية.

ثانيا: الموقع الجغرافي: تقع بلدية عين الناقة في الجنوب الشرقي لعاصمة ولاية بسكرة و تبعد عنها بحوالي 40 كم وتتربع على مساحة تقدر ب 507.80 كلم مربع⁶. يمثل تراث هذه المنطقة في عدة معالم أثرية و تاريخية، من بينها المعلم التاريخي دار الشيخ الهادي.

ثالثا: نبذة تاريخية حول دار الشيخ الهادي: تأسست هذه الدار حوالي سنة 1860 على يد محمد موسى بن أحمد بن النوي بن خليفة الاخضري وقد ورثها الشيخ الهادي هو وأخوه عمر عن أبيهم وبعد وفاة الشيخ الهادي ورثها أخوه عمر وبعد وفاته ورثها ابنه عبد الحميد بن خليفة. كانت تقطن بها عائلة متواضعة وبسيطة لكن كان لها شأن عند الناس وهي عائلة بن خليفة والتي كانت تعيش على الزراعة خاصة زراعة الحبوب كالقمح والشعير وغرس النخيل وتربية المواشي وازدهرت هذه الدار في عهد الشيخ الهادي والذي كان منفتحاً ويشهد له بالتواضع والإحسان الى الناس.

بدأ مشواره مبكرا حيث درس في الكتاتيب وتعلم القرآن وتفقّه في الدين وعكف على المطالعة والقراءة

كما شارك في الحركة الوطنية وكان يتابع الأحداث التي تمر بها الثورة وكان له اتصال مباشر مع مشايخ الزوايا وتبادل معهم العلم والمعرفة وبعد تزوده بقليل من العلم استطاع

أن يقوم بعدة مشاريع خيرية ففتح زاوية لتحفيظ القرآن الكريم ودار لضيافة وعابري السبيل وتكفل بتربية الأيتام وقد كان أيضا سباقا لحل النزاعات التي كانت تحدث بين الناس.

1- **مرحلة التحضير للثورة التحريرية:** قبل اندلاع الثورة التحريرية كانت محطة لخدمة الثورة فيما يخص الملتقيات و الاجتماعات والتحضير للثورة المباركة بمشاركة الشعب والمناضلين وجمع التبرعات

والاشتراكات والتموين الغذائي العام وشراء الملابس والأحذية وكل ما تتطلبه الحياة اليومية وجمع

الأسلحة التي بحوزة الشعب مثل بنادق الصيد والسيوف والسكاكين وكل وسائل الدفاع وهذا يجري في سرية تامة ويتم تخزينه في أماكن بعيدة عن أنظار العدو.

2- **مرحلة الاستقلال:** بعد معاناة طويلة للشعب الجزائري من الاحتلال الفرنسي جاء النصر وأشرقت شمس الحرية في كل ربوع الوطن قد فتحت أبوابها لاستقبال الوفود التي جاءت من جميع مناطق الوطن للاحتفال بعيد النصر الذي احتضنته هذه الدار التاريخية في 19 مارس 1962 ورفرف العلم الجزائري

فوقها وبدأت المراسيم الفعلية للاحتفال باستعراض عسكري وتقديم التحية بعد نزول قادة الولاية الأولى التاريخية و المجاهدين من جبال الأوراس والتقوا بالشعب في عين الناقاة الذين كانوا فرحين بالنصر

وعودة أبناءهم بعد تقديم واجبهم الثوري على أتم وجه وتحقيقهم لحلم لطالما راود الجزائريين طيلة

132 سنة فنصبت الخيام ورفعت الأعلام وأقيمت الأفراح ووضعت الولايم ودامت مدة سبعة أيام بلياليها

وغُنّت الأناشيد والأغاني الوطنية وتعالّت الزغاريد فرحة لاستعادة السيادة الوطنية. من أسباب اختيار هذا المنزل ما يلي:

-مساحة المنزل كبيرة تكفي كل السكان تقريبا للاجتماع و الاحتفال.

-كونه ذو نفوذ و مال و له القدرة على اطعام الثوار و السكان في هذا الاحتفال .

-موقع المنزل يتوسط أشجار النخيل بمعنى أنه يوفر الحماية للمجاهدين⁷.

فتحت مكاتب إدارية بهذا المنزل منها:

*مكتب لإحصاء الشعب وتحضير الملفات الخاصة بالانتخابات.

*مكتب للقضاء به كل من المجاهد مصطفى تمقلين والمجاهد أحمد فضل كانت تتم فيه

معالجة القضايا العامة للشعب مثل العقود وشؤون الأسرة وغيرها.

*مكتب الكتابة العامة فترأسه المجاهد عبد القادر معمر.

*المخزن. *غرفة للاجتماعات والاستراحة.

*المطبخ. *ساحة العلم. *بالإضافة إلى نصب الخيام بمحيط المنزل.

كما تواصل نشاط المنزل لاستعماله كمستوصف من طرف قاطنه المجاهد خليفة لخضر

لتقديم الاسعافات الأولية⁸.

رابعا: الموقع: المعلم تاريخي و هو عبارة عن منزل واسع للمجاهد الشيخ الهادي يقع في

عين الناقة شمال بسكرة. و يدعى الموقع بالخضرة الشمالية بالتحديد في شارع 19

مارس.

خامسا: مخطط المنزل و ملحقاته (المخطط 1 و 2): نجد المبنى مستطيل الشكل

متطاوّل باتجاه شرق غرب طوله ما بين 25.55 متر شمال و 25.45 متر جنوب أما

عرضه ما بين 20.40 متر شرق و 20.70 متر غرب والبنية مبنية بالطوب وملبسة

بالطين.

بالنسبة للمحيط الداخلي للمسكن فيتكون مما يلي:

تحمل البنية مداخل مطلة للفناء و يعلوها نوافذ و فتحات للتهوية و سقفها من سعف

النخيل، و هو ذو طابق واحد.

1- المداخل: نجد في البنية الصحراوية المدخل يحمل باب من الخشب أو جنوع

النخيل و تمتاز بانخفاض ارتفاعها⁹. و هذا ما نجده في هذا المبنى مدخلين ثانويين في

الواجهة الشرقية و الغربية بعرض 1 متر و ارتفاع حوالي 2 متر بها باب من الخشب.

اضافة الى آثار لباب ثالث كبير ذو مصراعين تقريبا في الزاوية الشمالية الشرقية و حسب

أهل الدارفو خاص بالماشية¹⁰.

2- السقيفة: يؤدي المدخل الى السقيفة التي تؤدي بدورها الى وسط الدار و أحيانا تنحصر في جدار منخفض يحجب الرؤية الى وسط الدار. و السقيفة هي احدى المكونات الأساسية للبيت و تعد نقطة انتقال بين المحيط الخارجي و الداخلي للمسكن¹¹.

3- الفناء: يشكل الفناء فضاء واسعا و مريحا للحركة و النشاط لأهل الدار فهو المكان المفضل للمرأة لانجاز بعض أعمالها اليومية. كما يعتبر مكانا لتجمع أفراد الأسرة و هو صحن مكشوف¹². و هذا ما نجده في دار الشيخ الهادي حيث نجد الفناء مستطيل الشكل طوله 8.10م و عرضه ما بين 12.55م و 12.80م أرضيته من التربة و هو على الهواء الطلق و هذا الأخير تتوزع عليه في جهاته الأربعة سلسلة من القاعات مختلفة المقاسات، تمتاز ببساطتها و ضيقها و عملية التسقيف يعتمد فيها غالبا على وسائل محلية كسعف النخيل أو شجر العرعار، كما تمتاز الغرف بعدم وجود زوايا قائمة و عدم استقامة جدرانها.

و لحماية هذا التراث المعماري الذي يحدد خاصة الهوية و الانتماء التاريخي للمجتمع و احيائه، ساهمت جمعية تراث الاجيال كتنشيط بالتنسيق مع مديرية الثقافة كمدمع بعدة نشاطات في هذا المعلم بهدف:

- اعادة الاعتبار لهذا المعلم التاريخي.
- قامت بوضع حجر الأساس لاقامة النصب التذكاري المخلد لذكرى احتفالات عيد النصر بتاريخ 19 مارس 1962، ذلك انطلاقا من 19مارس 2011.
- احياء شهر التراث في دار الشيخ الهادي انطلاقا من سنة 2017.
- القيام باحتفالات وطنية كل سنة من 19 مارس في هذه الدار أين تقوم ب :
- عرض فرسان الخيل و البارود و زغاريد النساء لاحياء مشهد زغاريد عيد النصر(الصورة1).

- ترسيم معرض للوانبي و الأدوات المستعملة قبل الثورة الوطنية و أثناء الثورة كأدوات الفلاحة، المطحنة (الصورة 4)، الأواني النحاسية (الصورة 2) و الفخارية (الصورة 3) و الزرابي و حقيبة من الصوف (الصور5) و حقيبة من الجلد خاصة بالشيخ الهادي (الصورة 12).

- عرض مختلف المأكولات التقليدية ككسرة القمح، و الشعير والشخشوخة (الصورة 6).
- جلسة شعر و فرقة بندير (الصورة 10).
- تنظيم مسابقة وطنية لاختيار أحسن عمل فني (نصب تذكاري) في تجسيد الفرحة بعيد النصر (الصورة 7).
- احياء ليالي الصيف لعين الناقاة في هذه الدار كالفكاهة، الرقص، أدب، شعر، أغاني و ألعاب خاصة بهذه المنطقة من أهمها لعبة القربوجة (الصورة 8) التي تعتبر لعبة تراثية و التي صنفت كتراث.
- تكريم أبو بكر بوزيدان الذي أخرج كتاب بعنوان المقاومة و الثورة التحريرية في منطقة عين الناقاة ببسكرة 1830- 1962 و لقد ساهمت هذه الجمعية أيضا في انشائه 13.
- معرض للباس التقليدي النسوي (الصورة 9).
- نصب الخيام. (الصورة 11).



الصورة (2): الأواني النحاسية



الصورة (1): سباق الخيل



الصورة (4): أدوات الفلاحة و المطبخنة



الصورة (3): الأواني الفخارية



الصورة (5): الزربية و الحقيبة من الصوف



الصورة (7): نصب تذكاري

لصورة (6): المأكولات التقليدية



الصورة (8): لعبة القربوجة

الصورة (9): اللباس التقليدي.



الصورة (10): فرقة بندير

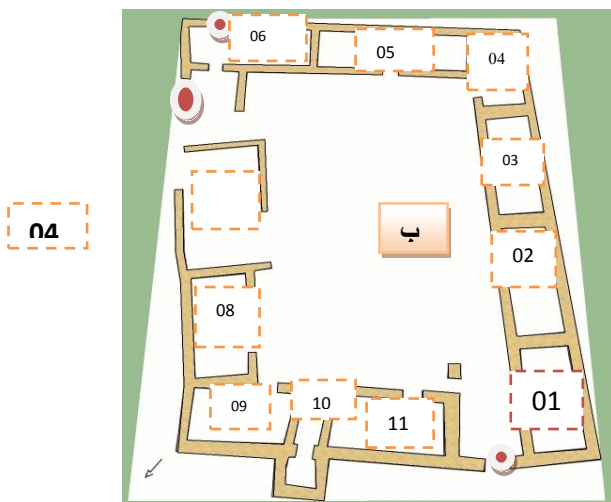
الصورة (11): تنصيب الخيمة



الصورة (12): حقيبة الشيخ الهادي

كما تمت أعمال الترميم (الصورة 13) بالمحافظة على نفس الخصائص البنائية للدار بمبادرة تطوعية مع مخبر علم الآثار و التراث و علوم القياس بجامعة الجزائر 2 من الأعمال التي قامت بها نجد عدة ورشات كالتالي:

- 1- الرفع المعماري. (المخطط 01 و 02)
- 2- اعادة تهيئة القوالب الطينية.
- 3- تحضير ملاط الربط و ملاط التلبيس.
- 4- تحضير مداميك و سعف و جذوع النخيل (الصورة 14).
- 5- بناء الجدران (الصورة 15) واعادة تركيب السقف (الصورة 17).
- 6- تلبيس الجدران الداخلية للقاعات (الصورة 16)
- 7- تلبيط الأرضيات¹⁴. (الصورة 18)



لمخطط 01: مخطط منزل الشيخ الهادي

مأخوذ من أرشيف علم الآثار و التراث و علوم القياس.

01: غرفة نوم 02: غرفة نوم

03: غرفة الشيخ الهادي

04: غرفة خاصة بعابر سبيل اما نساء أو أيتام

05: قاعة تخزين للمواد الغذائية قمح، شعير،
(تقرر...)

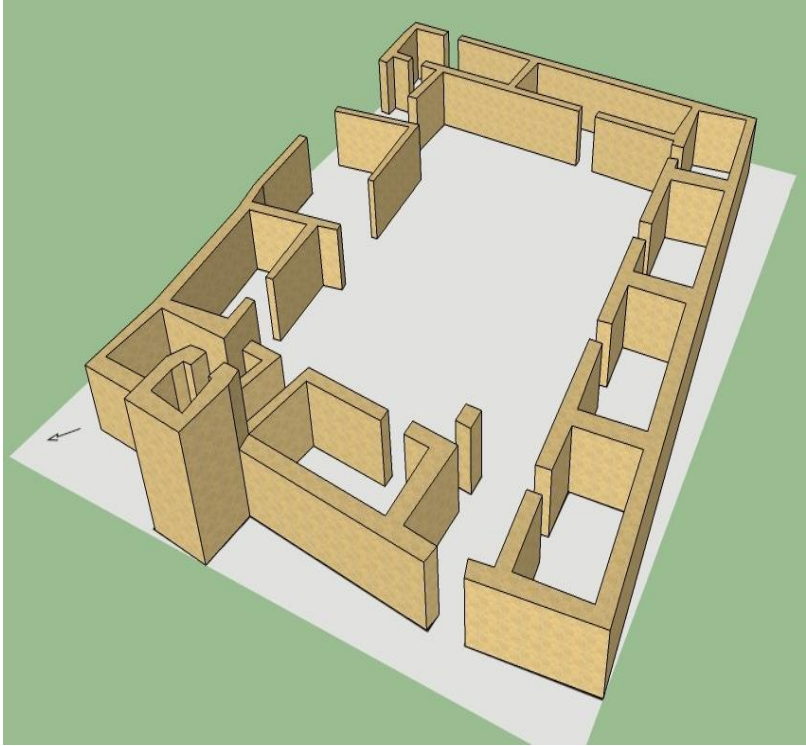
06: قاعة استقبال الضيوف أو اجتماعات

07: اصطبل خاص بالخيل

08: قاعة جمع الخطب 09: مطبخ

10:مرحاض 11:غرفة

أ: سقيفة / ب: فناء / مداخل



المخطط (02): تخطيط ثلاثي أبعاد للمنزل .

مأخوذ من أرشيف علم الآثار و التراث و علوم القياس.



الصورة (13): أعمال التهيئة لصورة (14): تحضير جذوع النخيل



الصورة (16): تلبيس الجدران الداخلية للقاعات



الصورة (17): اعادة تركيب السقف



الصورة (18): تخطيط الأرضية

الهدف من اشغال الترميم المحافظة على تراث المنطقة و لاتزال الأشغال متواصلة، لذلك يمكن اعتبار أن الأهداف المرجوة من عمليات الترميم قد تحققت نسبيا في انتظار انتهاء الأشغال و جعل هذا المعلم أولا مصنف ضمن التراث الوطني المادي ثم جعله متحفا.

الاقتراحات:

- بناء على ما توصلت إليه الدراسة، يمكن تقديم التوصيات الآتية:
- تشجيع الاستثمار في السياحة الداخلية، وهذا من خلال إنشاء المؤسسات الفندقية، وتوفير كل الخدمات السياحية اللازمة، والتعريف بها عبر الوسائط الإعلامية والاتصالية المختلفة، من أجل جذب السياح، وتقديم خدمات ذات جودة عالية ترقى لمستوى تطلعات السياح الوافدين إليها.
 - ضرورة الرجوع لتجارب البلدان السياحية الناجحة من أجل الاستفادة منها في ترقية القطاع السياحي في الجزائر.
 - استخدام الحملات الإعلامية والتحسيسية لنشر الوعي السياحي والثقافة السياحية في المجتمع المحلي.
 - إعطاء الدولة ومؤسساتها الأهمية للتسويق والترويج السياحي، من خلال زيادة الاعتمادات المخصصة لذلك ضمن استراتيجياتها.
 - استغلال التطورات التكنولوجية في مجال الإعلام والاتصال لخدمة السياحة وتطويرها في الجزائر، وتبني السياحة الإلكترونية للتعريف بالمنتج السياحي المحلي والترويج له.
 - صياغة نموذج لكل منطقة من المناطق السياحية في الجزائر، بحيث ينفرد كل نموذج عن الآخر بما يتلاءم وطبيعة كل منطقة وما تزر به من إمكانات سياحية.
 - تهدف التنمية السياحية الى رفع قدرات الانتاج السياحي خاصة عن طريق الاستثمار السياحي مع تثمين القدرات التاريخية و تنويع العرض السياحي و تطوير أشكال جديدة للأنشطة السياحية¹⁵

الهوامش والمراجع المعتمدة

- 1 خالد كواش، "السياحة، مفهوما، أركانها وأنواعها"، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2007، ص10.
- 2 ماهر عبد العزيز توفيق: صناعة السياحة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1997، ص ص: 21-23.
- 3 بركات كامل المهيترات، "الأمن السياحي والتشريعات السياحية، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009، ص15.
- 4 ماهر عبد العزيز توفيق، "صناعة السياحة"، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1997، ص22.
- 5 - دليل أعمال ترميم المباني الطينية و الحجرية، الهيئة العامة للسياحة و الآثار، المملكة العربية السعودية، 8430- 2009 ص 01.
- 6 -جريدة اللقاء، العدد 3023، الثلاثاء 02 جانفي 2018م، ص 19.
- 7 - بوبكر زيدان، المقاومة و الثورة التحريرية في منطقة عين الناقبة ببسكرة 1830- 1962، السداسي الأول، دار النعمان، الجزائر، مارس ص130.
- 8 - أرشيف مديرية الثقافة لولاية بسكرة.
- 9 -علي حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط، دراسة تاريخية و أثرية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغبة، الجزائر، 2006 ص 244
- 10 - تقرير مخبر علم الاثارو التراث و علوم القياس .
- 11 - علي حملاوي، المرجع السابق ص 244.
- 12 - بن قرية، أبحاث و دراسات في تاريخ و آثار المغرب الاسلامي و حضارته ، دار الهدى للطباعة و النشر، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص 476
- 13 - مقابلة مع صاحب الدار.
- 14 - تقرير مخبر علم الاثار و التراث و علوم القياس .
- 15 01 رقم القانون 15/ 03 المؤرخ في 16 ذي الحجة عام 1423 الموافق ل17 فبراير سنة 2003، المتعلق بالتنمية المستدامة.